

الزمن النفسي في السينما الجزائرية: مفاهيم وسياقات وتجليات - تحليل ومقارنة أفلام مختارة -
 Psychological Time in Algerian Cinema: Concepts, Contexts, and Manifestations - Analysis
 and Comparison of Selected Films

صالح بوالشعور محمد أمين¹*

¹ جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان، الجزائر، mohammedamine.salahbouchaour@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر: 2025/12/15

تاريخ القبول: 2025/10/31

تاريخ الاستلام: 2025/08/15

ملخص: تهتم هذه الورقة البحثية في مفهوم الزمن النفسي وتمظهره في السينما الجزائرية، والأفلام التي تناولت موضوعات العشرية السوداء وتبعاتها النفسية المؤثرة على الفكر والعاطفة الجمعية، كما تهدف الدراسة إلى استكشاف كيف استخدم المخرجون الجزائريون أدوات السينما، وخاصة التلاعب بالزمن السردى، للتعبير عن الصدمات النفسية. في هذا البحث، نطرح إشكالية فهم الأبعاد المختلفة لمعالجة الزمن النفسي في سياق جزائري محدد، وإبراز أوجه التشابه والاختلاف في الرؤى الفنية والسينمائية لهذه الأعمال. وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن مفهوم الزمن النفسي يُعد مدخلاً ثرياً لفهم جانب مهم من تجليات السينما الجزائرية التي تناولت فترة العشرية السوداء وتبعاتها. الأفلام التي تم تحليلها ("أبو ليلى"، "التائب"، "موريتوري"، "ما قبل الأيام")، رغم اختلاف أساليبها ومقارباتها، لإبراز كيف للصدمة والعنف والذاكرة المؤلمة أن تشوه الإدراك الذاتي للزمن لدى الشخصيات.

كلمات مفتاحية: الزمن، سياقات، مقارنة، سينما، النفسية.

Abstract: This study addresses the concept of psychological time and its manifestations in Algerian cinema, with a particular focus on films that dealt with the Black Decade period and its profound psychological consequences on the individual and society. The study aims to explore how Algerian directors used cinematic tools, especially the manipulation of narrative time, to express psychological trauma. Here, in this research, we discuss the problematic of understanding the different dimensions of addressing psychological time within a specific Algerian context, highlighting the similarities and differences in the artistic and cinematic visions of these works. This study concluded that the concept of psychological time serves as a rich entry point for understanding an important aspect of the manifestations of Algerian cinema that addressed the Black Decade period and its consequences. The analyzed films ("Abou Leila", "The Repentant", "Morituri", "Before the Days"), despite their different styles and approaches, share in highlighting how trauma, violence, and painful memory distort the characters' subjective perception of time, make the past intensely present in the fabric of the present, and cast shadows over the future.

Keywords: Time, Contexts, Comparison, Cinema, Psychological

1- مقدمة:

تتناول هذه الدراسة مفهوم الزمن النفسي وتجلياته في السينما الجزائرية، مع التركيز بشكل خاص على الأفلام التي عالجت فترة العشرية السوداء وتبعاتها النفسية العميقة على الفرد والمجتمع. تهدف الدراسة إلى استكشاف كيف استخدم المخرجون الجزائريون أدوات السينما، وخاصة التلاعب بالزمن السردى، للتعبير عن الصدمات النفسية، تشوه الذاكرة، وصعوبات التصالح مع الماضي العنيف. من خلال تحليل ومقارنة أربعة أفلام بارزة هي "أبو ليلي" (2019)، "التائب" (2012)، "موريتوري" (2007)، و"ما قبل الأيام" (2013).

تعتمد الدراسة على إطار نظري يوضح مفهوم الزمن النفسي في السينما بشكل عام، ثم تنتقل إلى تحليل كل فيلم على حدة، مركزة على كيفية تجسيد الزمن النفسي من خلال بناء الشخصيات، تطور الأحداث، واللغة السينمائية المستخدمة.

وأخيراً، تقدم الدراسة مقارنة تحليلية بين الأفلام الأربعة لإبراز النقاط المشتركة والاختلافات الجوهرية في مقاربتها لموضوع الذاكرة والصدمة والزمن في ظل العشرية السوداء.

ونهتم في هذا البحث لمناقشة إشكالية دور الزمن النفسي في إنتاج الأبعاد المختلفة في سياقات متعددة، وإبراز أوجه التشابه والاختلاف في الموضوعات والأفكار الفنية والسينمائية للأفلام الجزائرية المختارة.

2- الإطار النظري: مفهوم الزمن النفسي في السينما

يمثل الزمن بعداً أساسياً في التجربة الإنسانية وفي الفنون السردية وخاصة السينما، إذ لا يقتصر دور الزمن في الفيلم على مجرد ترتيب الأحداث بشكل خطي، بل يتجاوز ليصبح أداة فنية قوية للتعبير عن الحالات النفسية للشخصيات، وتوجيه مشاعر المتفرج، وبناء المعنى. يختلف "الزمن السينمائي" عن "الزمن الواقعي" أو "الزمن الشمسي" الذي يحكم حياتنا اليومية بتعاقبه الثابت وغير القابل للارتداد. تمنح السينما المخرج القدرة على التلاعب بالزمن وتقكيكه وإعادة بنائه وخلق إيقاعات وأنظمة زمنية خاصة تخدم الرؤية الفنية للفيلم (جواد، 2020).

3- أنواع الزمن في السينما

يمكن التمييز بين عدة أنواع من الزمن تتفاعل داخل الفيلم

أ- الزمن المادي (الواقعي/الشمسي): هو الزمن الموضوعي الذي يستغرقه تصوير حدث ما وعرضه على الشاشة بنفس المدة التي يستغرقها في الواقع، وهو يمثل جريان الزمن الطبيعي كما ندركه في حياتنا اليومية، بتعاقب منطقي للأحداث وتطورها. (جواد، 2020).

ب- الزمن النفسي (السيكولوجي):

هو الزمن الذاتي المرتبط بإدراك الشخصيات ومشاعرها وتفكيرها. لا يخضع هذا الزمن للمنطق الخطي للزمن المادي، بل يتأثر بالحالة الداخلية للشخصية. يمكن أن يتمدد الزمن النفسي في لحظات التوتر أو التأمل، أو يتقلص في لحظات الإثارة أو الصدمة (جواد، 2020)، وتعبّر السينما عن الزمن النفسي من خلال تقنيات مثل المونتاج، الفلاش باك، الفلاش فورورد، الأحلام، الذكريات، والإيقاع البصري والسمعي (جان، 1982).

ت- الزمن الدرامي:

هو الزمن الذي ينظمه المخرج لخدمة البناء السردى للفيلم، حتى يستطيع أن يتحكم في إيقاع الأحداث وتسريعها أو تبطئها، وحذف اللحظات غير المهمة وتركيز الانتباه على اللحظات الحاسمة، بهدف بناء التشويق والتأثير العاطفي والفكري على المتفرج. الزمن الدرامي هو نتاج التفاعل بين الزمن المادي والزمن النفسي، وهو الذي يشكل الإيقاع العام للفيلم (جان، 1982).

ج- الزمن التاريخي:

يشير إلى الحقبة الزمنية التي تدور فيها أحداث الفيلم، ويتطلب تجسيد الزمن التاريخي اهتمامًا بالتفاصيل المتعلقة بالديكور، الملابس، اللغة، والأجواء العامة لتلك الفترة.

4- الزمن النفسي كأداة سينمائية

ظهرت السينما قبل أكثر من قرن، ووفرت لنا باعتبارها آلة ميكانيكية، إمكانية قنص وتفكيك وإعادة بناء وتشكيل الحركة الظاهرة للحياة وتحويلها والتلاعب بها من خلال عمليات تقنية بصرية وخدع سينمائية كالترسيخ والتباطؤ والانعكاس والارتداد إلى الخلف أو العودة إلى الوراء (جواد، 2020).

تكمن أهمية الزمن النفسي في قدرته على كشف العالم الداخلي للشخصيات، من خلال التلاعب بالزمن، يستطيع المخرج أن ينقل للمتفرج تجربة الشخصية الذاتية للوقت، ويعكس اضطراباتها، آمالها، مخاوفها، وذكرياتها. الزمن محدود التمدد للغاية، لأنك لا تستطيع تكرار الصورة لتشرح جميع ما سبق، فهي صورة محملة بكل تلك الصور التي تستغرق الرواية في وصفها (فاتي، د ت)، هنا يصبح الزمن النفسي وسيلة لاستكشاف طبقات أعمق من الوعي، وتجاوز السرد الخطي التقليدي لتقديم رؤى أكثر تعقيدًا عن النفس البشرية والتاريخ.

تستخدم السينما تقنيات متنوعة لتجسيد الزمن النفسي، منها:

- **المونتاج:** تقطيع وتسلسل اللقطات بطريقة غير خطية لخلق إيقاع يعكس الحالة النفسية (مونتاج سريع للتوتر، بطيء للتأمل). لهذا فإن عملية المونتاج مهمة بشكل كبير، ليس لأنها فقط تكون أجزاء الفيلم

المتفرقة في قطعة كاملة متوازنة؛ وإنما أيضاً لأنها أداة المخرج في التحكم بالزمن السينمائي، حيث يستطيع التلاعب بالزمن عن طريقها (فاتي، د ت).

- **الفلاش باك (الاسترجاع):** تستخدم للرجوع إلى أحداث الماضي من أجل تفسير أحداث الحاضر وكشف دوافع الشخصيات في الأفلام والمسلسلات التلفزيونية، مما يضيف على القصة مزيداً من العمق. (السيد، 2022)

- **الفلاش فورورد (الاستشراف):** القفز إلى المستقبل لإعطاء لمحة عن مصير الشخصيات أو لخلق التوتر.

- **الصوت والموسيقى:** استخدام المؤثرات الصوتية والموسيقى التصويرية للتعبير عن الإحساس بالزمن (دقات ساعة، موسيقى متوترة أو حالمة).

- **حركة الكاميرا وزوايا التصوير:** استخدام حركات كاميرا معينة (بطيئة، سريعة، دائرية) أو زوايا غير تقليدية لتعكس الإدراك الذاتي للزمن (جواد، 2020).

- **الأحلام والتخيلات:** تصوير مشاهد تمثل أحلام الشخصيات أو خيالاتها، والتي غالباً ما تكون متحررة من قيود الزمن الواقعي.

5- خلاصة الإطار النظري

يمثل الزمن النفسي عنصراً جوهرياً في الفن السينمائي، يتيح للمخرجين تجاوز حدود الزمن المادي لاستكشاف أغوار النفس البشرية وتقديم تجارب سردية وبصرية غنية ومعقدة. إن فهم كيفية توظيف الزمن النفسي في السينما يفتح الباب أمام تحليل أعمق للأفلام وتقدير أكبر لقدرة السينما على التعبير عن تعقيدات التجربة الإنسانية للزمن.

6- تحديد المفاهيم الأساسية للزمن النفسي في السينما

يمثل الزمن في السينما بعداً رابعاً يتجاوز الأبعاد المكانية الثلاثة، مانحاً المخرج القدرة على التلاعب به وخلق وتحويله أو حتى تجميده ليؤسس بذلك ما يُعرف بـ "الزمن السينمائي"، يختلف هذا الزمن السينمائي جوهرياً عن الزمن الواقعي أو التعااقبي الذي يحكم حياتنا اليومية، والذي يتسم بالخطية والثبات وعدم القابلية للارتداد، فالسينما - بوصفها فناً وتقنية - لا تكفي بمحاكاة الزمن المادي الذي يستغرقه حدث ما عند تصويره وعرضه، بل تتجاوزه لاستكشاف أبعاد زمنية أخرى أكثر تعقيداً. (ينظر رشيدة، 2021، ص 82). من أبرز هذه الأبعاد "الزمن النفسي" أو السيكلوجي، وهو لا يُقاس بالساعات والدقائق الموضوعية، بل يُدرك من خلال الانطباع الذاتي والشعور الداخلي للمشاهد أو الشخصية داخل الفيلم". (بشارة، 2020). يتحكم هذا الزمن النفسي في

المشاعر والأفكار والذكريات، ويمكن للسينما تجسيده والتلاعب به عبر تقنيات متعددة كالمونتاج، والتسريع، والتباطؤ والاسترجاع (الفاش باك) والاستباق (الفاش فورورد)، مما يسمح بخلق إيقاع خاص بالفيلم يعكس الحالات الداخلية للشخصيات ويؤثر في تجربة المشاهد وتفاعله العاطفي والفكري مع الأحداث. بالتالي، فإن الزمن النفسي في السينما هو تجربة ذاتية للوقت، تتشكل بفعل السرد والبناء الفيلمي، وتختلف عن مجرد التسلسل الزمني للأحداث.

6-1- الزمن النفسي في سياق السينما الجزائرية

على الرغم من أن الدراسات الأكاديمية التي تتناول "الزمن النفسي" كمفهوم مركزي ومستقل في السينما الجزائرية قد لا تكون متوفرة بكثرة أو بشكل مباشر بنفس الزخم الذي تحظى به دراسات أخرى (مثل السينما الثورية أو قضايا الهوية)، إلا أن تحليل الأساليب السردية والبنائية في العديد من الأفلام الجزائرية يكشف عن حضور لافت لمعالجات الزمن التي تتجاوز التسلسل الخطي المباشر.

يمكن أن نلمس تجليات الزمن النفسي من خلال تركيز بعض المخرجين على الذاكرة الفردية والجماعية، خاصة في سياق الأحداث التاريخية الكبرى كالثورة التحريرية أو العشرية السوداء، حيث يتم استحضار الماضي وتأثيره على الحاضر النفسي للشخصيات.

تبرز معالجات الزمن النفسي في الأفلام التي تغوص في أعماق الشخصيات وتجاربها الذاتية، مستخدمة تقنيات مثل الاسترجاع (الفاش باك) أو تيار الوعي أو حتى التلاعب بإيقاع السرد ليعكس الحالة الشعورية للشخصية، وهو ما يظهر في بعض أفلام السينما المعاصرة التي تبحث عن أساليب تعبيرية جديدة (بن سعيد، 2021). يتضح أيضاً أن السينما الجزائرية، "في سعيها للبحث عن الذات والهوية في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية"، قد تلجأ إلى بنى زمنية غير تقليدية لتعكس تعقيدات الواقع وتشابكاته النفسية والاجتماعية (زيان، 2020)، مما يفتح الباب أمام قراءات تأويلية ترصد البعد النفسي للزمن في التجربة الفيلمية الجزائرية.

6-2- الزمن النفسي في السينما الجزائرية من خلال سنين الجمر:

تعتبر معالجة الزمن في فيلم "وقائع سنين الجمر" (1975) للمخرج محمد لخضر حمينة، مثالاً بارزاً على كيفية تجسيد الزمن النفسي في السينما الجزائرية، وإن لم يكن دائماً عبر تقنيات الاسترجاع الصريحة. فالفيلم، كما يشير تحليل الجزيرة الوثائقية، "لا يقتصر على توثيق لحظات تاريخية منفصلة، بل ينسج سردية ممتدة (1939-1954) ترصد التراكمات النفسية والاجتماعية التي أدت إلى اندلاع الثورة" (الكريم، 2020). يصور الفيلم ما يمكن وصفه بـ "الزمن المتوقف" أو الثقل في الأرض العطشى التي ضربها الجفاف، وهو توقف لا

يعكس فقط ركوداً مادياً بل أيضاً حالة نفسية من المعاناة والانتظار والترقب تخيم على الشخصيات والمجتمع ككل قبل الانفجار الثوري.

يعتمد حمينة بشكل كبير على قوة الصورة ورمزيتها، مثل مشاهد الصراع على الماء أو تصدعات الأرض، "ليعبر عن الضغط النفسي والمعاناة الداخلية للشخصيات، متجاوزاً السرد الخطي البسيط للأحداث ليغوص في الأسباب النفسية العميقة التي تقف خلفها" (الكريم، 2020). إن تركيز الفيلم على معاناة الفلاحين وتصويره لتأثير الأحداث القاسية على أجيال مختلفة (مثل الطفل الذي يواجه واقعاً صادمًا) يمنح الزمن بعداً نفسياً عميقاً، حيث لا يُقاس بمرور السنوات فقط، بل بكثافة التجربة الشعورية وثقل الذاكرة الفردية والجماعية التي تحمل عبء سنوات الجمر. يمكن رؤية تجليات مشابهة وإن اختلفت الأساليب، في أفلام جزائرية أخرى تتناول الذاكرة والصدمة، مثل بعض أفلام فترة العشرية السوداء أو الأفلام التي تستخدم الاسترجاع لاستكشاف ماضي الشخصيات وتأثيره على حاضرها النفسي.

7- تحليل الزمن النفسي في الأفلام المختارة.

7-1- الزمن النفسي في فيلم "أبو ليلي" (2019)

يُعد فيلم "أبو ليلي" للمخرج الجزائري أمين سيدي بومدين، الصادر عام 2019، نموذجاً سينمائياً بارزاً لاستكشاف أعماق النفس البشرية وتأثير الصدمات العنيفة على إدراك الزمن والواقع، وذلك في سياق فترة العشرية السوداء الدامية التي مرت بها الجزائر في تسعينيات القرن الماضي.

لا يكتفي الفيلم بسرد قصة مطاردة إرهابي خطير في الصحراء الشاسعة، بل يغوص عميقاً في الحالة النفسية لإحدى شخصيتيه الرئيسيتين وهو سمير (أداء سليمان بن واري)، "ليكشف كيف يمكن للعنف المتراكم، سواء كان عنفاً أسرياً في الماضي البعيد أو عنف الإرهاب في الماضي القريب، أن يشوه الإدراك ويفتت الإحساس بالزمن، محولاً الحاضر إلى ساحة صراع بين الواقع المتأزم والكوابيس المستمرة" (الكريم، 2020).

تتجلى مركزية الزمن النفسي في بناء شخصية سمير، الشرطي الذي يبدو ظاهرياً في مهمة للقبض على الإرهابي "أبو ليلي"، لكن رحلته في الصحراء برفقة صديقه لطفي (إلياس سالم) تتحول تدريجياً إلى رحلة داخلية لمواجهة شياطينه الخاصة.

"يستحضر الفيلم ماضي سمير عبر لمحات متقطعة تكشف عن قسوة تلقاها من والده، وعن تجربة مواجهة مسلحة مباشرة شهد فيها مقتل زميله" (قادري، 2020)، هذه الصدمات المتراكمة لا تُترك في الماضي، بل تتسلل إلى حاضره، وتتجسد في هلاوس وكوابيس تكسر التسلسل الزمني المنطقي للأحداث، ليصبح الزمن لدى

سمير غير خطي، مشوهًا، حيث يمتزج الماضي بالحاضر والخيال بالواقع، بطريقة تجعل من الصعب على المتفرج، وعلى شخصية لطفي المرافقة له، التمييز بين ما هو حقيقي وما هو نتاج لاضطراب سмир النفسي. يستخدم المخرج "أمين سيدي بومدين" لغة سينمائية تعكس هذا الاضطراب الزمني والنفسي، "فالإيقاع البطيء أحيانًا، والمشاهد التي يلفها الغموض، واللقطات التي تركز على ردود أفعال سмир الداخلية، كلها تساهم في خلق إحساس بأن الزمن يتمدد أو يتجمد وفقًا لحالة سмир النفسية". (الكريم، 2020). تتحول الصحراء بفراغها وامتدادها اللانهائي، من مجرد فضاء جغرافي إلى فضاء نفسي ومرآة لخواء سмир الداخلي وضياعه بين أزمنة مختلفة: "زمن الطفولة المعذبة، زمن الصدمة العنيفة وزمن الحاضر المحموم بالرغبة في الانتقام أو ربما البحث عن خلاص مستحيل" (الكريم، 2020).

يصبح البحث عن "أبو ليلي" بحثًا عن معنى أو عن نهاية لهذا العذاب النفسي، لكنه بحث محكوم عليه بالدوران في حلقة مفرغة داخل ذهن سмир المأزوم. تُبرز شخصية لطفي الأكثر واقعية وتماسكًا ظاهريًا، من هشاشة سмир وتفاقم حالته. لطفي هو نقطة الاتصال بالواقع، لكنه يُسحب تدريجيًا إلى عالم سмир المضطرب، ويصبح شاهدًا على انهياره التدريجي، وتعتبر "العلاقة بينهما تتحول إلى صراع وتوتر يعكسان صعوبة فهم ومواجهة الآثار النفسية العميقة للعنف" (الكريم، 2020).

إن تفاعل الشخصيتين يُظهر كيف أن الزمن النفسي ليس مجرد تجربة فردية منعزلة، بل يمكن أن يؤثر ويتأثر بالعلاقات مع الآخرين، خاصة في ظل ظروف قاسية. في الختام، "يقدم فيلم "أبو ليلي" معالجة سينمائية قوية ومقلقة لمفهوم الزمن النفسي" (الكريم، 2020)، ومن خلال شخصية سмир، يُظهر الفيلم كيف يمكن للصدمة أن تكسر خط الزمن الموضوعي، وتخلق زمنًا ذاتيًا مجزأً، "تتداخل فيه الذاكرة بالهلوسة، والواقع بالكابوس. إنه استكشاف لـ "المرض الذي يصيب المجتمع بشكل عام"، كما وصفه النقد" (الكريم، 2020)، حيث يصبح الزمن النفسي المشوه للفرد انعكاسًا لزمن تاريخي واجتماعي مضطرب وعنيف.

7-2- الزمن النفسي في فيلم "التائب" (2012):

يقدم المخرج الجزائري المخضرم "مرزاق علواش" في فيلمه "التائب" (Le Repenti, 2012)، معالجة سينمائية عميقة ومثيرة للتفكير حول إشكالية الذاكرة والمصالحة وتأثير الماضي العنيف على الزمن النفسي للفرد والمجتمع في جزائر ما بعد العشرية السوداء.

يبتعد الفيلم عن التصوير المباشر لأحداث العنف، ليركز بدلاً من ذلك على التبعات النفسية لتلك الفترة، متسائلًا عن إمكانية النسيان والصفح في ظل جراح لم تندمل بالكامل، وعن كيفية تشكيل الماضي للحاضر وتقييده له.

يتجسد الزمن النفسي بشكل مركزي في شخصية رشيد (أداء نبيل عسلي)، الإرهابي السابق الذي يعود إلى قريته بعد الاستفاد من ميثاق "السلم والمصالحة الوطنية". لا يُقدم رشيد كشخصية بسيطة أو أحادية البعد، بل كفرد ممزق بين ماضيه الذي يلاحقه وشكوك الحاضر الذي يرفضه، زمنه النفسي ليس خطيًا ولا متصلًا؛ "إنه زمن مثقل بالذنب، تطارده ظلال الماضي وأسئلته المعلقة، فيبدو الحاضر بالنسبة لرشيد متوقفًا عند الماضي وكأنه مقيد به" (الجزيرة نت، 2012)، محاولاته للاندماج في المجتمع تصطدم بصمت محمل بالشكوك والرفض، مما يعكس صعوبة تجاوز الزمن النفسي الفردي والجماعي للصدمة.

يقدم "علوش" في استخدام "الصمت" كأداة سينمائية للتعبير عن الزمن النفسي المعقد للشخصيات وللمجتمع ككل، يقول علوش: "التاريخ الجزائري منذ الاستقلال حافل بأشياء توضع تحت علامة الصمت ولا يرغب أحد في الحديث عنها، فالجزائريون يحبون القول إنهم بخير ولو بشكل اصطناعي واهم، إن الصمت في الفيلم ليس مجرد غياب للكلام، بل هو قيمة درامية تقول الكثير. "صمت رشيد عن تفاصيل ماضيه، وصمت المجتمع الذي يرفض التعامل معه، وصمت السلطات عن معالجة جذرية لجراح الماضي، كلها أشكال من الصمت تعكس حالة من الزمن المعلق، زمن لم يتمكن من المضي قدمًا بشكل كامل" (الجزيرة نت، 2012). هذا الصمت يولد توترًا نفسيًا ويجعل الحاضر مشحونًا بأسئلة الماضي غير المحلولة.

تتجلى إشكالية الزمن النفسي بوضوح في رحلة رشيد مع الصيدلي (خالد بن عيسى) والأم (عادل بن دمراد) للبحث عن قبر الابنة المقتولة، لتتحول السيارة إلى فضاء مكثف وتتكشف فيه طبقات الزمن النفسي للشخصيات.

لا يأتي اعتراف رشيد المتأخر والمجزأ كفعل تطهيري يحرره من الماضي، بل يعيد طرح الأسئلة ويؤكد على ثقل الذاكرة وصعوبة المصالحة الحقيقية. إن إصرار الأم على معرفة الحقيقة ورغبة الأب في عدم المعرفة، يعكسان موقفين مختلفين من التعامل مع الزمن النفسي للماضي: الرغبة في المواجهة كسبيل لطي الصفحة، مقابل محاولة الهروب من الألم عبر الصمت أو التجاهل.

يترك الفيلم النهاية مفتوحة، "مشيرًا إلى أن عملية التصالح مع الزمن النفسي للماضي هي عملية معقدة ومستمرة، وأن الحاضر لا يزال محكومًا بظلال تلك الفترة القاسية" (الجزيرة نت، 2012).

في المحصلة، يستخدم فيلم "التائب" شخصية رشيد ورحلته الصعبة كمدخل لاستكشاف الزمن النفسي للجزائر في مرحلة ما بعد الصدمة، إنه زمن يتسم بالصمت والشك وصعوبة النسيان، حيث يظل الماضي حاضرًا بقوة، فيشكل إدراك الأفراد للوقت ويؤثر على علاقاتهم وإمكانية بناء مستقبل متصالح.

يطرح الفيلم، من خلال معالجته الهادئة والعميقة، أسئلة جوهرية حول الذاكرة الفردية والجماعية، وكيفية تأثيرها على مسار الزمن النفسي للأمة بأكملها.

7-3- الزمن النفسي في فيلم "موريتوري" (2007)

يُعد فيلم "موريتوري" (Morituri)، الذي أخرجه "عكاشة تويتة" عام 2007 والمستوحى من رواية للكاتب الجزائري ياسمين خضرة، إضافة مهمة للسينما الجزائرية التي تناولت فترة العشرية السوداء وتبعاتها النفسية العميقة.

يغوص الفيلم في قلب العاصمة الجزائرية خلال تلك الفترة المضطربة، متتبعا قصة مفتش شرطة يجد نفسه في مواجهة العنف المتصاعد، مما يضع ضغوطاً هائلة على حالته النفسية وإدراكه للواقع والزمن، على الرغم من أن التحليلات النقدية المتخصصة التي تركز بشكل حصري على "الزمن النفسي" في فيلم "موريتوري" قد لا تكون متوفرة بكثرة في المصادر المتاحة حالياً، إلا أن طبيعة القصة وسياقها التاريخي يجعلان من الزمن النفسي عنصراً حاضراً بقوة وإن بشكل ضمني". (حسان، 2022).

تدور أحداث الفيلم في فترة اتسمت بالخوف والرعب وانعدام اليقين، وهي ظروف كفيلة بتثويبه الإحساس بالزمن لدى أي شخص يعيشها، فكيف الحال بمفتش شرطة يقع في قلب العاصفة؟ من المرجح أن يعكس الفيلم من خلال شخصية المفتش، حالة التوتر النفسي والقلق المستمر التي طبعت تلك الحقبة، لأن الزمن الموضوعي بتسلسله المنتظم، قد يتوارى خلف زمن نفسي ذاتي يتسم بالترقب والخوف من المجهول.

تمثل كل لحظة خطراً وكل قرار قد يكون له عواقب وخيمة، هذا الإحساس الدائم بالخطر يمكن أن يؤدي إلى تمدد الزمن النفسي في لحظات التوتر الشديد، أو انكماشه وتسارعه في لحظات أخرى، مما يخلق إحساساً بالضيق وعدم الاستقرار الداخلي لدى الشخصية. كما أن التعامل اليومي مع العنف والموت والفساد قد يؤدي إلى تبدل المشاعر أو انفجارات نفسية غير متوقعة، مما يؤثر بدوره على كيفية معايشة الزمن وتذكره.

"تستند قصة الفيلم إلى رواية لياسمين خضرة، المعروف بقدرته على الغوص في النفسانيات المعقدة لشخصياته في ظل ظروف قاسية" (حسان، 2022)، وبالتالي يُتوقع أن يكون الفيلم قد ورث هذا الاهتمام بالبعد النفسي، مستكشفاً كيف يؤثر الجو العام للعشرية السوداء على إدراك مفتش الشرطة للزمن، وعلى ذاكرته وعلى نظريته للمستقبل الذي يبدو قاتماً وغير واضح المعالم.

قد يتجلى ذلك في إيقاع الفيلم، أو في استخدام لقطات تعكس الحالة الذهنية للشخصية، أو في حوارات تكشف عن صراعاته الداخلية. في غياب تحليلات نقدية معمقة حول الزمن النفسي تحديداً، يبقى تحليل هذا

الجانِب في "موريتوري" "معتمدًا بشكل كبير على فهم السياق التاريخي والنفسي للعشرية السوداء، وعلى القراءة الضمنية للشخصيات والأحداث كما وردت في ملخصات الفيلم المتاحة" (حسان، 2022).

يمثل الفيلم شهادة على فترة عصيبة، ومن خلال تتبع مصير مفتش الشرطة، يتيح لنا لمس الأثر النفسي العميق لتلك السنوات على إدراك الفرد الجزائري للزمن والواقع.

7-4- الزمن النفسي في فيلم "ما قبل الأيام" (2013):

يُقدم فيلم "ما قبل الأيام" (Les Jours d'avant)، وهو فيلم روائي قصير للمخرج "كريم موساوي" عام 2013، نافذة حساسة ومؤثرة على حياة المراهقين في الجزائر خلال فترة التسعينيات، وهي فترة اتسمت بالعنف والخوف جراء العشرية السوداء.

يركز الفيلم على شخصيتي ياسمين (سهيلة معلم) وجابر (مهدي رمضان)، مراهقين يعيشان في منطقة سيدي موسى المتأثرة بشدة بالإرهاب الهجمي، ويستكشف كيف أثر هذا السياق القاسي على أحلامهما، طموحاتهما، وبشكل خاص على إدراكهما للزمن والمستقبل.

في هذا الفيلم القصير، يصبح الزمن النفسي للمراهقين هو محور الاهتمام. على عكس الزمن الموضوعي الذي يسير بشكل خطي، يبدو الزمن النفسي لياسمين وجابر مشوّبًا بالترقب، القلق، وربما بنوع من التجمد أو التعليق، فالحياة اليومية محفوفة بالمخاطر والمستقبل يبدو غامضًا ومحفوفًا بالشكوك.

"تصطدم الأحلام والطموحات الطبيعية لهذه المرحلة العمرية بواقع قاسٍ يفرض قيودًا ويولد إحساسًا بأن الزمن لا يسير نحو مستقبل واعد، بل يدور في حلقة من الخوف والانتظار" (مرابط، 2022).

يُتوقع أن يستخدم المخرج لغة سينمائية تعكس هذه الحالة النفسية، فقد نرى مشاهد تركز على لحظات التأمل، التردد، أو الشعور بالضيق لدى الشخصيتين. إيقاع الفيلم قد يعكس هذا الإحساس بزمن متباطئ أو معلق، حيث تصبح التفاصيل الصغيرة للحياة اليومية ذات أهمية خاصة في ظل غياب أفق واضح.

العلاقة بين ياسمين وجابر قد تكون هي المساحة الوحيدة التي يجدان فيها بعض العزاء أو الإحساس بزمن مختلف، زمن خاص بهما بعيدًا عن قسوة الواقع المحيط. إن تركيز الفيلم على مرحلة المراهقة في هذا السياق يضيف بعدًا خاصًا لمفهوم الزمن النفسي. المراهقة هي بطبيعتها فترة انتقالية، فترة تشكيل للهوية وتطلع للمستقبل.

في ظل العشرية السوداء، يُحرم هؤلاء المراهقون من هذا التطلع الطبيعي، ليصبح زمنهم النفسي مثقلًا بعبء يفوق سنهم، فيضطرون للتعامل مع مفاهيم الموت والخطر والخسارة في وقت مبكر جدًا. هذا قد يؤدي

إلى نضج قسري، أو إلى حالة من الإنكار والهروب إلى عالم داخلي خاص، وكلاهما يؤثر بشكل كبير على كيفية معاشة الزمن وإدراكه.

كما في حالة فيلم "موريتوري"، قد لا تتوفر تحليلات نقدية متخصصة ومفصلة تركز حصرياً على الزمن النفسي في "ما قبل الأيام" ضمن المصادر المتاحة حالياً. ومع ذلك، فإن قراءة ملخص الفيلم وسياقه تشير بوضوح إلى أن الأثر النفسي للعشرية السوداء على إدراك الشباب للزمن والمستقبل هو أحد المحاور الأساسية التي يعالجها الفيلم (حسان، 2022). يقدم "ما قبل الأيام" لمحة مؤثرة عن جيل سُرق منه براءة المراهقة وأحلامها، وتركت لديه زمناً نفسياً مجروحاً ومتقلاً بظلال الماضي القريب.

8- مقارنة تحليلية:

تُعد فترة العشرية السوداء (تسعينيات القرن الماضي)، جرحاً غائراً في الذاكرة الجماعية الجزائرية، وقد تركت بصماتها العميقة ليس فقط على الواقع الاجتماعي والسياسي، بل وأيضاً على النسيج النفسي للأفراد والمجتمع. تصدت السينما الجزائرية لتوثيق هذه المرحلة ومعالجة تبعاتها، وبرز من بينها عدد من الأفلام التي استكشفت بجرأة وعمق مفهوم "الزمن النفسي" لشخصيات عاشت أو تأثرت بتلك الفترة العصيبة.

تقدم أفلام "أبو ليلي" (أمين سيدي بومدين، 2019)، "التائب" (مرزاق علواش، 2012)، "موريتوري" (عكاشة تويته، 2007)، و"ما قبل الأيام" (كريم موساوي، 2013) نماذج متباينة وغنية لكيفية تجسيد الزمن النفسي المشوه والمنقل بظلال الماضي العنيف". (رشيدة، 2021، ص112).

8-1- تشابهات في معالجة الصدمة وتأثيرها على الزمن:

تتشترك الأفلام الأربعة، في تصوير الصدمة العنيفة للعشرية السوداء أثرها في كسر الإحساس الطبيعي بالزمن لدى الشخصيات، فيصبح الزمن النفسي غير خطي ومجزأ، ومطارداً بالماضي. في "أبو ليلي"، يتجلى هذا بوضوح في شخصية سمير، حيث تتداخل ذكريات العنف الأسري وصدمة مقتل زميله مع حاضره، متخذة شكل هلاوس وكوابيس تمحو الحدود بين الواقع والخيال، مما يخلق زمناً نفسياً مشوهاً يدور في حلقة مفرغة من البحث عن خلاص مستحيل في صحراء شاسعة تعكس خواءه الداخلي.

وبشكل مشابه، وإن كان أقل حدة ظاهرية، يعيش رشيد في "التائب" زمناً نفسياً مقيداً بالماضي. حاضره "متوقف عند الماضي"، ومحاولاته للاندماج تصطدم بصمت المجتمع الذي يرفض نسيان أو مسامحة ماضيه كإرهابي.

إن الزمن النفسي هنا، يتسم بالثقل والشعور بالذنب وصعوبة المضي قدماً، حيث يظل الماضي حاضراً بقوة في نظرات الآخرين وفي صمته هو نفسه.

أما في "موريتوري" و"ما قبل الأيام"، فيبدو الزمن النفسي متأثراً بالخوف والترقب وانعدام اليقين الذي طبع الحقبة. مفتش الشرطة في "موريتوري" يعيش زمناً مشحوناً بالتوتر، حيث كل لحظة تحمل خطراً، والمستقبل يبدو قاتمًا، والمراهقان في "ما قبل الأيام" يعيشان زمناً معلقاً، حيث تُحرم أحلامهما وطموحاتهما من التحقق بفعل الواقع القاسي، ويصبح مستقبلهما غامضاً، وزمنهما النفسي مثقلاً بعبء الخوف والخسارة المبكرة.

8-2- اختلافات في تجليات الزمن النفسي وبناء الشخصيات:

رغم التشابه في تأثير الشخصيات بالصدمة، تختلف الأفلام في كيفية تجسيد هذا الزمن النفسي وفي بناء الشخصيات التي تحملها:

• "أبو ليلي": يقدم المعالجة الأكثر تطرفاً للزمن النفسي المشوه عبر الهلاوس والاضطراب العقلي الحاد لشخصية سمير، مستخدماً لغة سينمائية تعتمد على الغموض والإيقاع البطيء والفضاء الصحراوي كمرآة للحالة النفسية.

• "التائب": يركز على الزمن النفسي المثقل بالذنب وصعوبة المصالحة، مستخدماً "الصمت" كأداة درامية رئيسية للتعبير عن الزمن المعلق وعن استحالة النسيان الكامل. "شخصية رشيد تمثل معضلة "التائب" الذي يظل أسير ماضيه في نظر المجتمع ونظر نفسه" (علواش، 2012).

• "موريتوري": يُتوقع أن يعكس الزمن النفسي من خلال جو القلق والتوتر والفساد المحيط بمفتش الشرطة، مركزاً على الضغوط النفسية التي يتعرض لها الفرد الواقع في قلب العاصفة، وإن كان التحليل التفصيلي لهذا الجانب يظل محدوداً بسبب قلة المصادر النقدية المركزة عليه.

• "ما قبل الأيام": يقدم منظوراً مختلفاً بالتركيز على الزمن النفسي للمراهقين، مسلطاً الضوء على الأحلام المؤودة والمستقبل المسروق، وكيف يُثقل العنف كاهل جيل شاب بزمن نفسي يتسم بالقلق والترقب وفقدان البراءة.

8-3- الموضوعات والسياق التاريخي:

تنفق الأفلام الأربعة على أن الزمن النفسي لشخصياتها هو نتاج مباشر لسياق العشرية السوداء. الذاكرة، الصدمة، العنف، المصالحة (أو استحالتها)، الخوف، وفقدان البراءة هي موضوعات مشتركة تتجلى من خلال معالجة الزمن النفسي. "أبو ليلي" و"التائب" يغوصان بشكل أعمق في التبعات النفسية المباشرة للعنف والقتل والشعور بالذنب، بينما "موريتوري" يتناول الضغوط في قلب النظام الأمني، و"ما قبل الأيام" يركز على الأثر على الجيل الأصغر.

خاتمة المقارنة: في مجملها، "تقدم هذه الأفلام الأربعة بانوراما مؤثرة ومعقدة للزمن النفسي في الجزائر خلال وبعد العشرية السوداء" (علوش، 2012).

من خلال شخصيات متنوعة ومعالجات سينمائية مختلفة، تُظهر كيف أن الماضي العنيف لا يبقى حبيساً في صفحات التاريخ، بل يستمر في التأثير على الحاضر، مشكلاً إدراك الأفراد للزمن، وذاكرتهم، وعلاقاتهم، ومستقبلهم. إنها شهادات سينمائية قوية على قدرة الصدمة على تشويه الزمن، وعلى صعوبة ترميم النفس الفردية والجماعية بعد فترات العنف القصوى.

9- خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن مفهوم الزمن النفسي يُعد مدخلاً ثرياً لفهم جانب مهم من تجليات السينما الجزائرية التي تناولت فترة العشرية السوداء وتبعاتها. الأفلام التي تم تحليلها ("أبو ليلي"، "التائب"، "موريتوري"، "ما قبل الأيام")، رغم اختلاف أساليبها ومقارباتها، تشترك في إبراز كيف أن الصدمة والعنف والذاكرة المؤلمة تشوه الإدراك الذاتي للزمن لدى الشخصيات، وتجعل الماضي حاضراً بقوة في نسيج الحاضر وتلقي بظلالها على المستقبل.

أظهر التحليل أن المخرجين الجزائريين استخدموا أدوات سينمائية متنوعة (المونتاج، الإيقاع، الفلاش باك، الصمت والفضاء) لتجسيد هذا الزمن النفسي المضطرب، سواء أكان ذلك من خلال الغوص في الاضطرابات العقلية الحادة ("أبو ليلي")، أو استكشاف ثقل الذنب وصعوبة المصالحة ("التائب")، أو تصوير القلق والتوتر في مواجهة الخطر ("موريتوري")، أو رصد الأحلام المؤودة لجيل المراهقين ("ما قبل الأيام").

تؤكد هذه الدراسة على أهمية السينما كأداة ليس فقط لتوثيق الأحداث التاريخية، بل وأيضاً لاستكشاف أبعادها النفسية العميقة وتأثيرها المستمر على الأفراد والمجتمع.

يظل الزمن النفسي في السينما الجزائرية، خاصة تلك المتعلقة بالعشرية السوداء، مجالاً خصباً للمزيد من البحث والتحليل النقدي.

10- قائمة المراجع

- 1- بشارة. جواد. (25 فبراير، 2020)، مفهوم الزمن في السينما، (الحوار المتمدن).
<https://almothaqaf.com/qadaya/943845-%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%85%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D9%86%D9%85%D8%A7>
- 2- بن سعيد، رشيدة. (2021). "الأساليب المعاصرة في السينما الجزائرية: الفيلم الثوري أنموذجاً" أطروحة دكتوراه،. وهران: جامعة وهران 1.
- 3- زيان، محمد. (2020). السينما الجزائرية والبحث عن الذات في زمن العولمة الثقافية: رؤية سوسيولوجية. مجلة آفاق سينمائية.
- 4- عبد الكريم. قادري. (24 فبراير، 2020). الجزيرة الوثائقية. من فيلم "أبو ليلى" صفحة أخرى من كتاب العشرية السوداء.
<https://doc.aljazeera.net/cinema/2020/2/24/%D9%81%D9%8A%D9%84%D9%85-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D9%84%D9%8A%D9%84%D9%89-%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A9-%D8%A3%D8%AE%D8%B1%D9%89-%D9%85%D9%86-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B4%D8%B1%D9%8A>
- 5- مرابط، حسان. (8 جوان، 2022). ultra الجزائر. من أبرز 10 أفلام عن العشرية السوداء بالجزائر.
<https://ultraalgeria.ultrasawt.com/%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D8%B2-10-%D8%A3%D9%81%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%AA%D8%B9%>
- 6- مرزاق علواش. (21 ماي، 2012). الجزيرة نت. "علواش يعود للعشرية السوداء بفيلم "التائب".
<https://aja.me/k6mx2>

7-جان. الكسان. (11 مارس , 1982). السينما في الوطن العربي. (المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون) الكويت.

8-محمد فاتي، الزمن السينمائي، مجلة العربي، العدد 707، د.ت.

<https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/19201>

9-وسام السيد. (30 سبتمبر , 2022). الفلاش باك لعبة الذاكرة في السينما- لماذا يفضله المخرجون؟ الجزيرة

نت: <https://aja.me/42552n>